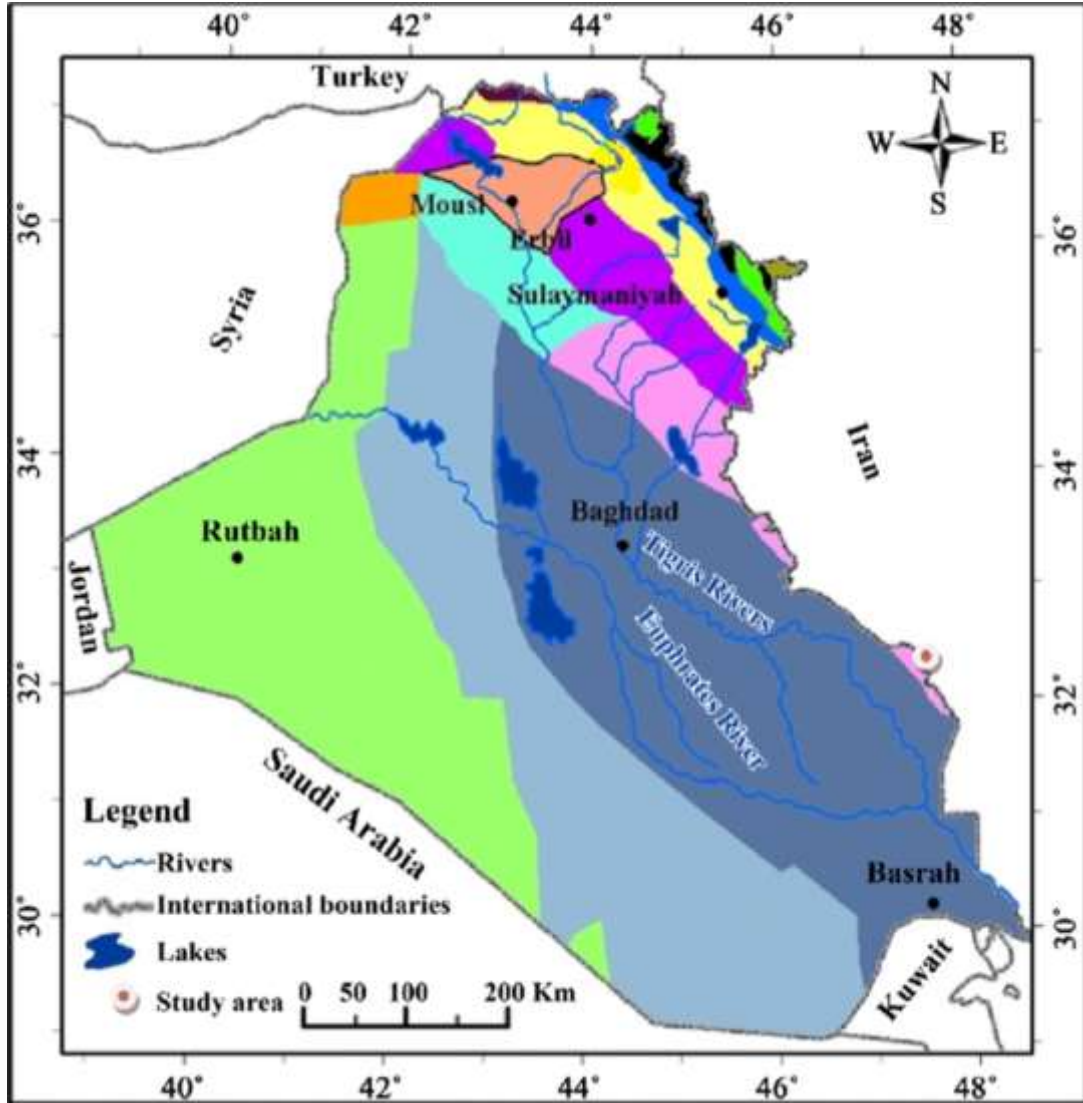


الباب الأول: الخصائص الطبيعية للعراق
الفصل الأول: الموقع الجغرافي للعراق وأهميته الاستراتيجية

الموقع الجغرافي للعراق:

فلكيا يقع العراق بين دائرتي عرض (30° 29°) و(37° 50°) شمالاً، وبين خطي طول (38° 45°) و(45° 48°) شرق خط غرينش، شكل (1).

شكل (1) الموقع الفلكي للعراق



عالميا يقع العراق جنوب غرب قارة آسيا، حيث يتوسط القارات الثلاث التي كانت تشكل العالم القديم (آسيا، اوروبا، افريقيا)، ويعد حلقة وصل بين تلك القارات مما أكسبه موقعا مميزاً، شكل (2). وهو يحتل القسم الشمالي الشرقي من الوطن العربي، شكل (3).

شكل (2) موقع العراق بالنسبة للعالم



شكل (3) موقع العراق بالنسبة للوطن العربي



بالنسبة لحدوده البرية تحده تركيا من الشمال بطول (377) كم وتبدأ من جهة الغرب من نقطة التقاء نهر الخابور بنهر دجلة شمال قرية فيشخابور إلى إن تلتقي بالحدود العراقية التركية الإيرانية، وتحده إيران من الشرق والتي تمتد معه باطول حدود برية بمسافة تقدر ب(1300) كم، وتحده سوريا والمملكة الأردنية الهاشمية والمملكة العربية السعودية من الغرب، والخليج العربي والكويت والمملكة العربية السعودية من الجنوب شكل (4).

شكل (4) الدول المجاورة للعراق



على الرغم من وقوع العراق في منطقة تحيطها خمس بحار (قزوين، والأسود، والمتوسط، والأحمر، والخليج العربي) إلا أنه لا يحاذي إلا الخليج العربي لمسافة تقرب من (55) كم تقريبا، شكل (5). حيث تبلغ حدوده البرية حوالي (٣٥٠٠) كم، يضاف الى ذلك أن معظم هذه البحار مقفلة وتأثيراتها محدودة باستثناء البحر المتوسط والخليج العربي، مما يعني بأن الموقع الأقليمي للعراق حرمه من فرص الاتصال البحري الواسعة فالعراق يصنف كدولة (شبه حبيسة) وبذلك حرم من فرص الاتصال البحري الرخيص المباشر.

شكل (5) موقع العراق بالنسبة البحار



1. تأثير الموقع على المناخ والزراعة:

من ملاحظة امتداد العراق بالنسبة لخطوط العرض نجد أنه يقع في القسم الجنوبي من المنطقة المعتدلة الشمالية. ومعنى ذلك أنه يقع في منطقة انتقالية بين المناخ الصحراوي الحار الجاف ومناخ البحر المتوسط. ولقد انعكس ذلك على مناخ العراق حيث أصبحت أمطاره قليلة (ماعدا المنطقة الجبلية الواقعة في أقصى الشمال الشرقي)، ومتذبذبة في كمياتها ومواسمها إلى درجة يصعب الاعتماد عليها في الزراعة، كما أن جفاف المناخ وارتفاع درجة الحرارة في الصيف تسببان أضراراً للتربة والري والمزروعات.

وبطبيعة الحال أثر طابع المناخ هذا على نظام الزراعة في العراق والذي حدد مواقع الزراعة التي انحصرت في ضفاف الأنهار المنبسطة والواطنة، بينما تركت مساحات شاسعة من الأراضي البعيدة عن الأنهار في وسط وجنوب (العراق) دون أن تزرع، كما أن مياه الأنهار يرتفع مستواها وتزداد في الموسم الذي تكون فيه المحاصيل الشتوية (القمح والشعير) قد قاربت على النضوج ولا تحتاج إلى ري، وتقل المياه في الصيف حين تحتاج المحاصيل الصيفية إلى ري. أو بمعنى آخر أن نظام مياه أنهار العراق وأمطاره لا تلائمان الزراعة. يضاف إلى ذلك أن معظم المناطق التي تغذى أنهار العراق بالمياه تقع خارج حدوده، مما يزيد في مشكلة السيطرة على مياه الأنهار والاستفادة منها لشئون الخزن والري، خاصة وأن العراق (كما تقدم البحث) لا غنى له في شئون زراعته عن الاعتماد على نظام ري دائم، لعدم كفاية الأمطار لحاجة الزراعة من جهة، ولعدم الاستفادة من مياه الفيضان مباشرةً لحدوثه متأخراً بالنسبة للمحاصيل الشتوية ومبكراً بالنسبة للمحاصيل الصيفية من جهة أخرى، أي على خلاف حالة الفيضان في الإقليم الجنوبي من دولة مصر. يضاف إلى ذلك حدوث الفيضانات في بعض السنين مما يصيب الانتاج الزراعي بأضرار.

أما الزراعة في المنطقة الجبلية وشبه الجبلية في شمال العراق فإنها (ديمية) أي تعتمد على الأمطار في زراعتها ولكن هذه الأمطار، بالرغم من أنها أكثر كمية من أمطار وسط وجنوب العراق فإنها ليست منتظمة في كميتها ولا في موسم سقوطها في جميع السنين مما يلحق أضراراً جسيمة في الإنتاج الزراعي بين الحين والآخر هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن نظام الأمطار الشتوية ووجود فصل جفاف طويل أدى إلى اعتماد الفلاح في الشمال على محصول واحد (محصول شتوي) في السنة مما له أثر في انخفاض الدخل الزراعي ومستوى التغذية للسكان.

2. تأثير موقع العراق على التجارة وطرق النقل العالمية:

يقع العراق بين البحر المتوسط والخليج العربي، وبمعنى آخر أنه يكون الجسر الأرضي الذي يوصل بين طرق المواصلات البحرية في جنوب آسيا وطرق المواصلات البحرية في جنوب أوروبا. وقد كانت أهمية هذا الموقع في زمن العباسيين عظيمة جداً للتجارة بين الشرق والغرب، فقد كانت القوافل التجارية تمر في العراق حاملة معها أنواعاً كثيرة من السلع التي تجلب من دول آسيا إلى الدول الأوروبية كالتوابل والبخور والسكر والعاج والحريز والاحجار الكريمة وغيرها، عبر المحيط الهندي ف البحر العربي إلى الموانئ العربية على الخليج العربي، ثم تحملها القوافل عبر العراق إلى الموانئ العربية على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، ليتم نقلها بواسطة السفن مرة أخرى إلى الدول الأوروبية. وكانت بغداد سوقاً للسلع آتية الذكر، لكونها عاصمة لدولة مترامية الأطراف في زمن العباسيين، شكل (6).

شكل (6) طريق التجارة بين الشرق والغرب الذي يمر بالعراق في زمن العباسيين



لكن هذه الأهمية ضعفت أو تلاشت تقريباً بعد فتح قناة السويس، حيث أصبحت طرق التجارة البحرية تمر عبر قناة السويس ومن بعدها مضيق باب المندب وتتجه نحو الهند وجنوب شرق آسيا بعيداً عن الخليج العربي وعن العراق بحوالى (٢٥٠٠) كم، وهكذا ألحق فتح قناة السويس ضرراً كبيراً بالعراق إذ عزله عن العالم المتمدن لمدة طويلة بسبب بعده عن طرق المواصلات البحرية الرئيسية، التي تمر بالبحر الأحمر إلى جنوب شرق آسيا من جهة، وأبعده عن شرق البحر المتوسط لمسافة لا تقل عن (١٠٠٠) كم، تتخللها الصحارى والجبال. يضاف الى ذلك مجاورة العراق لأقطار فقيرة نوعاً ما، ومتماثلة تقريباً في إنتاجها، زيادة على أن لهذه الأقطار منافذ تمر منها تجارتها دون المرور بالعراق فلتركيا سواحل طويلة على البحر الأسود والمتوسط، وإيران سواحل في الشمال على بحر قزوين وفي الجنوب على الخليج العربي، ولذلك لم يستفد العراق من مجاورة هذه الأقطار إلا قليلاً. وهذه الفائدة القليلة تأتي إما عن طريق تبادل بعض السلع التجارية كالفواكه المجففة والسجاد (الزوالى) أو عن طريق تجارة المرور (الترانزيت) بمينائي البصرة وبغروت في طريقها إلى إيران. وتشمل تجارة المرور هذه البضائع الخفيفة والبضائع التي تتحمل نفقات النقل البرى الطويل كالأقمشة والمواد الكيماوية والكهربائية والسيارات وغيرها.

كما نتج عن هذه العزلة حرمان العراق من مورد اقتصادي هام وهو مورد السياحة، فإن عدد السياح الأجانب الذين يقصدونه أو يمرون به سنوياً قليل جداً، علماً أنه الوارث لأقدم الحضارات والشرائع المدونة في العالم.

ولكن كون موقع العراق يعد بأنه أقصر الطرق بين غرب أوروبا وجنوب شرق آسيا. فقد أعاد للواجهة مقترح فكرة (طريق الحرير) الذي كان يربط جنوب آسيا في جنوب أوروبا بما يسمى ب(طريق التنمية) الذي أعاد لموقع العراق أهميته كطريق من طرق التجارة العالمية، و(طريق التنمية) هو مشروع نقل إستراتيجي أطلقه العراق عام (2023) لربط الخليج العربي بتركيا وأوروبا، عبر ممر بري وخط سكة حديد يمتدان من ميناء الفاو جنوباً إلى الحدود التركية شمالاً، يهدف إلى تقليص زمن نقل البضائع بين القارتين عبر ربط البصرة بمدينة أفاكوي التركية، بما يوفر ممراً برياً وسككياً يصل الخليج بالأسواق الأوروبية، شكل (7).

شكل (7) امتداد طريق التنمية دولياً



ويهدف إلى تطوير شبكة متكاملة للنقل والخدمات اللوجستية والصناعة، بما يرسخ موقع العراق مركزاً إقليمياً للتجارة وسلاسل الإمداد، ويحظى بدعم من تركيا وقطر والإمارات. يقوم مشروع (طريق التنمية) على تعبيد طريق سريع طوله 1190 كيلومتراً وخط سكة حديد مزدوج طوله (1175 - 1176) كم، كما يتضمن إنشاء مدينة صناعية متكاملة، في إطار خطة تستهدف إعادة توطيد الصناعة وإحداث تحول في الاقتصاد العراقي بعد عقود من الحروب والعقوبات والتحديات الداخلية.

شكل (8) امتداد طريق التنمية داخل العراق



ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الطريق المائي في الخليج العربي هي الطريق الوحيد تقريباً الذي يتمكن العراق بواسطته من نقل صادراته ووارداته بحراً.

يضاف الى ما سبق ذكره فإن لموقع العراق أهمية بالنقل الجوي حيث إنه يقع على أقصر الطرق في المواصلات الجوية كذلك. إذ أصبحت بغداد والبصرة محطتين عالميتين لطرق جوية كثيرة. غير أن هذه الخطوط الجوية أحياناً لا تتبع دائماً أقصر الطرق، وإنما تتبع الطريق الذي يتوفر فيه الركاب والبريد والبضائع والتسهيلات التي تحصل عليها شركات النقل من الأقطار التي تمر بها وجودة المطارات وغير ذلك من أمور تهم الطيران.

3. تأثير موقع العراق على الحياة الاجتماعية والسياسية للسكان:

ان نظرة سريعة الى خارطة جنوب غرب قارة آسيا تظهر لنا ان العراق يقع بين منطقتين محدودتي الموارد الطبيعية. ففي الشمال والشرق هضاب وجبال شبه جرداء، وفي الغرب والجنوب صحارى تكاد تكون مقفرة وفقيرة في مواردها المائية ومواردها الأخرى، في حين يتمتع العراق بوفرة مياهه وانبساط ارضه ومن ثم غناه بالموارد الزراعية، مما دفع سكان تلك المناطق قديماً الى الهجرة اليه والاستقرار فوق ارضه. وقد

كان طبيعياً ان يتسرب أولئك السكان على شكل موجات متعاقبة الى العراق. والحق يقال ان تلك الموجات البشرية التي اتخذت طريقها نحو العراق كانت تمثل صفحة رائعة من صفحات تنازع البقاء بين البداوة والحضارة. وعند تتبع هذا الصراع نجد انه ينتهي باستيطان تلك الجماعات على ارض العراق واندماجها ومساهمتها في تكوين خصائص حضارته ومجتمعه وتكوين شخصية الفرد العراقي.

خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ساهم موقع العراق في انعزاله عن العالم الخارجي الأمر الذي جعله ابطاً من بعض الاقطار العربية الاخرى كمصر وسورية ولبنان في الأخذ بالتطورات الاجتماعية التي حدثت في العالم الغربي. وقد خفت هذه العزلة، بسبب تطور وسائل النقل البري ووسائل الاعلام وتحسين الموانئ العراقية وازدياد حركة النقل الجوي مضافاً اليه توسع اتصالات العراق الخارجية عن طريق البعثات العلمية والايفادات وحركة الاصطياف والتجارة وخاصة خلال فترات السلم.

كما أثر موقع العراق كذلك في احواله السياسية فمنذ اقدم العصور كانت له دائماً أهمية دولية كمركز للحكم، شهد بهذا المركز حملات كورش والاسكندر وحكم السلوقيين والبارثيين والساسانيين وحملات العرب المسلمين وغارات المغول والأتراك العثمانيين الى الحملة البريطانية على العراق خلال الحرب العالمية الأولى وكان دور العراق واضحاً في كل مرحلة من هذه المراحل على المسرح الدولي كموقع مهم للحكم والادارة، فقد اتخذ الفرس بابل عاصمة ثانية لهم، واتخذ السلوقيون سلوقيا (قريباً من بابل على دجلة جنوب بغداد) واتخذ البارثيون على الضفة المقابلة لسلوقيا عاصمتهم طيسفون، ثم عرفت المدينتان باسم المدائن. وما كاد يستقر الفتح الاسلامي حتى انتقلت عاصمة الخلافة الى الكوفة، ثم شيدت بغداد واصبحت عاصمة الخلافة الاسلامية في العصر العباسي. وما كاد المغول يستقرون في العراق حتى اعتنقوا الاسلام واستمدوا نظم حكمهم وادارتهم مما كان قائماً في العراق. كذلك فعل العثمانيون وقد شهد العراق خلال كل هذه الادوار تفاعلاً قوياً بين حضارات مختلفة وامتزاجاً خطيراً في نظم الحكم والادارة والسياسة.

المصادر:

1. جاسم محمد الخلف، محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والأقتصادية والبشرية القاها على طلبة قسم الجغرافيا والتاريخ، القاهرة، 1959.
2. خطاب صكار العاني، نوري خليل البرازي، جغرافية العراق، مطبعة جامعة بغداد، 1979.
3. عبد الله سالم المالكي، جغرافية العراق الإقليمية، الطبعة الثانية، 2023.
4. فلاح جمال معروف، وآخرون، جغرافية العراق الطبيعية والسكانية والأقتصادية (دراسة في الجغرافية الإقليمية)، دار دجلة للطباعة، 2016.